الباب الثاني

مع الناس

تمهيد

الباب الثاني **مع الناس** مكون من أربعة فصول، وكل فصل يتكون من أربعة موضوعات، يخدم كل منها محورًا تربويًّا متميزًا، وحتى لا يملّك المتشابه، أو يستحوذ عليك محور واحد لفترة طويلة فتفتر، أو يتحول الأمر إلى مجرد استرادة علمية دون تحقيق للجانب الوجداني أو للترجمة السلوكية المقصودة، كان تقسيم المحور الواحد على الفصول الأربعة مقصودًا، فمَن تناول الباب هذا الترتيب، سار في المحاور كلها بتوازن ومحطًا ثابتة، وأعان نفسه على نفسه بالتنوع، وتحققت بسهولة الجوانب الوجدانية والعملية

ومَن أراد بعد ذلك تتبع المحور الواحد عبر الفصول الأربعة، فله ما أراد، وإضافة كل فقرة إلى نظيرتها في باقي الفصول الأربعة، تُكمِّل الموضوع في جانبه العلمي والمعرفي.

فالمحور الأول يعتني ببيان فضل اجتماع المؤمنين على تدارس كتاب الله وسُنة نبيه ﷺ وكيف تتصل بالله ﷻ في ذلك لتحقق الربانية، كما يكشف عن أثر هذا على صيوف رياض الجنة بتوطيد الثقة وتوثيق الرابطة، ثم يُؤكّد على ضرورة الاستفادة من العلم الذي اجتمعنا عليه في ميادين السلوك والأخلاق والعمل

والمحور الثاني يعرض للأخلاق، يعرض للحياء كشعبة من الإيمان، ولكف الأذى كخلق في الإسلام، ثم لإماطة الأذى كدرجة أعلى في الإيجابية، ويختتم بترك الجدل والمراء، وكلها أخلاق إسلامية حميدة.

والمحور الثالث يصحبك في رحلة الاستقامة عبر مثابرة وعهد، تبدأ به يومك، ثم مراقبة ومعية مع الله ﷻ تحرس بها عملك، ثم

بمحاسبة آخر اليوم تعرف بها رصيدك، وتختتم بالتوبة التي تتقرب بها إلى الله ﷻ وتحر بها تقصيرك، وكلها كما ترى من أسباب النجاة

والمحور الرابع مقدمات لازمة في موضوعات ترقق القلوب وتُعين على الاستعداد لما بعد الحياة الدنيا، إنها موضوعات الموت والقيامة والجنة والنار، وهي تتوزع على الفصول ليكون لكل فصل نصيب من هذه الرقائق، ثم هي تمهد للمشاهدات التفصيلية في كل من هذه الجوانب والتي سنعرض لها بإذن الله ﷻ في الأجزاء التالية من الكتاب

وفي كل ذلك يمكننا أن نلحظ الجانبين التصوري والعملي مرتبطين بالعلم والفكرة

في **الفصل الأول** أربعة موضوعات فموضوع **رياض الجنة** يستعرض روضتين، هما للصالحين بعد الممات، وروضتين لهم يدخلونهما وهم أحياء، وعندما يتوارد شوق القارئ إلى نعيم هذه الروضات مع خوفه من تقلب القلب المحروم من ارتيادها، يجد إرشادات عملية تحمله إلى الروضات

وموضوع **الحياء** يتناول ميزانًا من موازين أعمال المسلم، فهو خلق الإسلام وشعبة من الإيمان، هو زينة وكله خير، وفور تخويف القارئ من أن يسترلق في سلسلة مهلكة بإهمال الحياء، تبرز الاقتراحات العملية التي تربي هذا الخلق وتنميه

وموضوع **مشارطة** يُوَقِّف الإنسان على أن عُمْرَه هو رأس ماله في تجارته، وبعد أن يخاف المرء من خسارة لا سبيل إلى تعويضها، يجد اقتراحًا يُشرك العقل مع النفس في هذه التجارة، فيشترط عليها ما تصلح به التجارة ويحقق الربح العظيم، الفردوس الأعلى، وتجد في نهايته نموذجًا

تطبيقيًّا لعقد المشارطة.

وموضوع **الموت** فيه تقرير لحتمية الموت، وبيان لكيفية الاستعداد له، وتفصيل للفوائد الشعورية والعملية للمداومة على ذكره، وفي كل ذلك تهيئة للقارئ ليتحمل العيش في القلق النافع، وليهتم بما نرجو أن يرد في الأجزاء التالية من مشاهد تفصيلية تتعلق بالموت

أمَّا موضوعات **الفصل الثاني** فموضوع **بداية ربانية**، يحلق بمشاعر مَن رَغِب في حِلَق الذكر بتوفيقه موقف المستمع لله ﷻ، ويضيف إلى وجدانه الإحساس بشرف الحديث إلى ربه ﷻ، فإذا علم صيغ الروضة هذا، اغتنم الفرصة فرفع الدعوات، لذلك تجد في النهاية حثًّا على دعوات مأثورات فضلها كبير

وموضوع **كف الأذى** يُوضح أن كل إيذاء للمسلم هو مرفوض سواء كان بيد البطش أم بيد القدرة، ويُحَوِّف مُؤدي الجار من نقص الإيمان أو الحرمان من الجنة، فإذا تحقق للقارئ هذا الخوف رغب في عمل يرفعه، فتَرِد المقترحات المناسبة من واقع الحياة، فتصير الفكرة والمشاعر سلوكًا وتصرفات

وموضوع **المراقبة** يتناول كيفية المراقبة قبل وأثناء وبعد العمل، وصورها التي تناسب كل عمل، سواء كان طاعة أو مباحًا أو معصية، وتأتي المصارحة بحقيقة أن المرء يحتاج لمراقبة دقيقة لصيقة لا تخفى معها خافية، ليحسن في الطاعات، ويتأدب في المباحات، ويتوب ويندم ويرجع إذا تلبَّس بمعصية، ونجد في النهاية المدخل العملي المتدرج المناسب لمن أراد تدرجًا

أمَّا موضوع **القيامة** وإن كان تَقْدِمَةً لمشاهد القيامة التي نأمل

أن نعرضها تفصيلاً في الأجزاء التالية لترقيق القلوب، فإنه يُؤكّد على أن الحياء هو جوهر القيامة، لما في ذلك من تشجيع على التزام العمل الصالح، وتخفيف لتعلق القلب بالدنيا الفانية.

والفصل الثالث فيه موضوع **ثقة وطيدة ورابطة وثيقة** يقرر أن كل روضة من رياض الجنة نرتع فيها ليست مجرد فصلٍ دراسيّ، لكنها اتصال قلبي، ويحرص القارئ برغبة في استكمال صفات المؤمن بالاهتمام بشكوى الشاكي، ويهدف إلى ادخار رصيد الفَرَح عند الله بتفريج كرب المكروب

وموضوع **إماطة الأذى** يعلو بمن كفَّ أذاه عن الناس درجة؛ فيجعله يُزيل أذى غيره، يدفعه إلى ذلك بحقيقة أن إماطة الأذى أدنى شُعَب الإيمان، وبالأمل في تحصيل المغفرة، وكسب ثواب الصدقات بغير إنفاق، وبأمنية الترحرح عن النار، وفي الختام نجد نماذج واقعية للالتزام بإماطة الأذى

وموضوع **المحاسبة** يعود بالقارئ إلى تجارته التي شارط عليها وراقب فيها، وفيه نظام محاسبة متكامل للتجارة مع الله ﷻ ، تُشعِرُنا دقته وشموليته بمدى الجدية المطلوبة في ذلك، فلا يكون لنا عذر أن نعدل عن المحاسبة إلى أن نُفاجأ بكل ما عملنا مُحصرًا

وموضوع **النار دار الخاسرين** يتناول النار المُعَدَّة للخاسرين، وحدّها وحقيقتها وتميزها عن نار الدنيا، لنخشاها، فنعمل ما ينجينا منها، والحض على مداومة ذكر النار يهيئ القارئ للاهتمام بالموضوعات التي سنبسطها – إن شاء الله – في الأجزاء المقبلة حول هذا الموضوع

ثم نصل إلى الفصل الرابع، وفيه موضوع **الأجر للعاملين**، وقارنه

يخاف أن يتعب في النار تعب الدابة التي تدير رحى الطحن، ويتملكه الرعب أن يجد نفسه مع المجرمين يطلب العودة للدنيا ليعمل غير الذي عَلِم، لذلك يقبل أن يتكلف لكل علم عملاً، ويجد في ختام الموضوع ما يعينه على ذلك

وموضوع **ترك الجدل** يُعَرِّف الجدل والمراء، ويعرض بواعث الجدل وأضراره، ويُبين الناس ثواب ترك الجدل والمراء، ثم يقترح صورًا معاصرة كنماذج لتطبيق ذلك عمليًا

وموضوع **التوبة** يبين دعائم التوبة الثلاث، وطبقات التائبين الأربع، ويُشَجِّع المرء على الإكثار من التوبة اقتداء برسول الله ﷺ، ويُبَيِّن التائب بمكانة متميزة عند الله ﷻ، ثم يُقَدِّم للقارئ برنامجًا تمهيديًا متدرجًا لذلك

وموضوع **الجنة دار الفائزين** يُقَدِّم للمَشاهد التي ستناولها - إن شاء الله - في الأجزاء المقبلة بتقرير حقيقة وجود الجنة وخلودها، وأنها عالية، لأن نعيمها لا يخطر على البال، و لا ينتهي القارئ من قراءته حتى يريد طمعه في الجنة، إذ يعرف أن الجنة مأوى كل من مات لا يشرك بالله ﷻ شيئًا، ولا شك أنه سينطلق مسترًا بذلك، كما فعل سلفنا الصالح.

والآن بقي لنا أن نستعرض تلك المواضيع بتفصيلاتها.

*****

الفصل الأول

١- رياض الجنـــة

٢- الحيـــــــاء

٣- المشـــــارطة

٤- المـــــــوت

١- رياض الجنة

كلما يشتاق إلى رياض الجنة، ففيها نعيم لا يخطر وصفه على البال، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[1] [رواه البخاري، الحديث ٣٠٥٠]

روضة بعد النشور:

بعد انقضاء العرض والحساب - ونسأل الله ألا نُحاسَب[2] - يدخل الفائزون الجنة، وفي روضة من رياضها سيفور عباد الرحمن برؤية ربهم، فقد روى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ أخبره « أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ ...» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٤٧٢]

لكن للصالحين روضات أخرى يتمتعون بها قبل البعث والنشور، فأين هي؟ وهل لنا إليها من سبيل؟

روضة قبل النشور:

للعبد الصالح قبل بعثه يوم القيامة روضة يُعَجَّلُ له بها في البرزخ، إنها روضة من رياض الجنة لكنها في القبر، روضة ينعم العبد الصالح فيها طوال

---

١ - من الآية ١٧ من سورة السجدة

٢ - أخبر النبي ﷺ أن سبعين ألفًا من أمته سيدخلون الجنة بغير حساب

الفترة التي يقضيها بين الممات والبعث، عَن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ" [رواه الترمذي، من الحديث ٢٣٨٤]

روضة تُشَدُّ إليها الرحال:

وهناك روضة من رياض الجنة يدخلها الحي ميتا، لكنها قد تكون على مسافة بعيدة أو قريبة، مكانها محدد ومحدود، وقد يتزاحم الناس على المكث فيها، إنها الروضة التي بين قبر رسول الله ﷺ ومنبره في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، عَن عبد الله بن زَيْدٍ الْمَازِنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ" [رواه البخاري، الحديث ١١٢]

فمن تيسر له زيارة مسجد رسول الله ﷺ يمكنه أن ينعم بالمكث في روضة من رياض الجنة، إنها روضة يدخلها في الدنيا وهو يدعو أن ييسر الله ﷻ له دخول رياض الجنة – التي هي في الآخرة – كما يسَّر له دخول إحداها وهو في الدنيا

ولكن ما شأن مَن لم يستطع الحج أو العمرة أو الزيارة؟ هل له من سبيل ليفوز بشيء من رياض الجنة، يستعين به على متاعب الدنيا ويُقَرِّب نفسه به من أجواء الفردوس؟ إن هؤلاء غير المستطيعين كثير، منهم المُسِنُّ ومنهم المريض، منهم الفقير، ومنهم الذي شغله طلب المعاش والقوت الضروري لأهله وعياله، لكن الله ﷻ كريم، فقد جعل لهؤلاء رياضًا قريبة

روضة قريبة المنال

كل إنسان مسلم في متناوله الآن رياض قريبة، لقد جعل الله ﷻ

كل حلقة يُذكر فيها اسمه ﷻ روضة من رياض الجنة، إنها الحلقات التي تتلو فيها الذِّكر - والذِّكر هو القرآن - قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، وهي الحلقات التي تتدارس فيها تفسير القرآن، قال تعالى ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2]، وهي الحلقات التي تطالع فيها الوحي المُنزل على نبينا محمد ﷺ في السُّنة الشريفة، فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ...» [رواه أبو داود، من الحديث ٣٩٨٨، وكل رواته ثقات]

إن الرياض قريبة المنال هي الحلقات التي يُطرح فيها كل ما يتعلق بذلك وما يلزمه من علوم ومعارف، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا»[3]، قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ «حِلَقُ الذِّكْرِ» [رواه الترمذي، الحديث ٣٤٣٢]

رَوضَةٌ تُهَيِّئُها ورَوضَةٌ ترتع فيها

من طن أن حياته قصيرة أدرك أن الموت قريب، ومن أدرك قرب الممات خاف الفوات، ومن خاف فوات حظه من رياض الجنة التي يمر بها - إن مرَّ- فإنه يهيئ لنفسه ولغيره رياضًا ورياضًا، وعلامة حرصنا على اعتنام التمتع برياض الجنة ليست فقط في أن نرتع فيها إذا صادفناها، لكنَّ الحرص يدفعنا إلى أن ندعو إليها ونستصيفها وهيئها لغيرنا، خاصة إذا كنا ممَّنْ وَسَّع الله عليهم في المنزل والمكان، وحبذا لو رتب كل منا لنفسه في كل فترة من الزمن روضتين روضة يهيئها وروضة يرتع فيها.

---

١ - الآية ٩ من سورة الحجر

٢ - من الآية ٧٩ من سورة آل عمران

٣ - ارتعوا أي أكثروا من الذكر فيها وتحصيل الثواب

أما الروضة التي تهيئها فهي الروضة التي تستصيفها في منزلك، ومن هيأ لعباد الرحمن روضة فقد تهيأ لثواب من الله ﷻ، وذلك لأن له فضل الاستضافة مع الإفادة، وأما الروضة التي ترتع فيها فهي الروضة التي تلبي الدعوة إليها

والمرأة لها نصيبها من رياض الجنة غير منقوص، بل وعليه زيادة، ذلك أنها عندما تهيئ لأخواتها روضة من رياض الجنة في بيتها، وتتحمل من أطفالهن ما تتحمل، فإن لها بذلك من الأجر زيادة

اجلس بنا نؤمن ساعة:

وفي الروضة نجد إيمانا، قَالَ مُعَاذُ بن جَبَلٍ ﷺ لأحد إخوانه يُذكِّره اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً[1]، فتلقفها ابن رواحة ﷺ وأهداها لأبي الدرداء ﷺ وهو آخذ بيده تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبًا من القِدر إذا استجمعت غليانًا[2]

هكذا كان الواقع العملي للصحابة ﷺ، كانوا يحثون بعضهم البعض على الالتقاء في تلك الرياض، لقد أوحوا على أنفسهم هذه الجلسات لَمَّا عرفوا من سرعة تقلب القلوب، ذلك التقلب الذي ربما كان أسرع من تقلب الماء الذي يغلي في القدور حين يغلي، لقد عرفوا في تلك الجلسات التفكر والتأمل والتناصح، وتفقدوا في هذه الجلسات نفوسهم لكيلا يطرأ عليها كَبْر أو بَطَر، كما كانوا يحرسون العلم والإيمان حتى لا يتلبسا بإفراط يريد بدعة أو تفريط يهمل إرشادًا[3]

---

١ – ورد في صحيح البخاري، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ"

٢ – محمد أحمد الراشد، المنطلق، ص ٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦

٣ – محمد أحمد الراشد، المنطلق، ص ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦ (بتصرف)

لمحة تطبيقية:

ليطمئن كل منا إلى حاله، وليتفقد مشاعره ووجدانه، فإن لم يجد في نفسه خوفًا على قلبه أن يتقلب أو يقلب، فليعلم أن ذلك اطمئنان الغافل، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا، قَالَ "نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ" [رواه الترمذي، الحديث ٦٦ ٢]

أما من وجد نفسه من الذاكرين غير الغافلين، فعليه أن يرتع في رياض الجنة، عليه أن يحرص على روضة يداوم على حضورها دوريًا بانتظام، وعليه - إن استطاع - أن يهيئ لغيره روضة يُكْرِمُ فيها صيوف الرحمن.

والمرأة المسلمة أيضًا - وإن لم تغادر بيتها - يمكنها أن تُعين نفسها على الشيطان بأن تُعدَّ نفسها وبيتها لاستضافة روضة من رياض الجنة، إنها إن خَلُصَت نيتها وصحَّ عزمُها وصَدَقَت رغبتُها، أعدت بيتها واستطاعت أن تنتصر على الشيطان الذي ربما حاول صرفها عن هذا الخير بتحويلها مما يمكن أن يفسده أطفال صيوفها في بيتها من أدوات أو بطاقة أو طعام، ثم إنها إن تحملت أو تكلفت بعد ذلك شيئًا فهو عند الله في الميزان

*****

٢- الحياء

الحياء خُلُقٌ يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق كل ذي حق، والحييّ - من البشر - هو الذي يعتريه تغير وانكسار خوفًا من أن يُعاب عليه بشيء، من الله أو من الناس، فالحياء عاطفة حية تترفع بها نفس الإنسان عن الخطايا، وتستشعر بها العصاصة من سفاسف الأمور[1] ويُولَدُ الحياء في الإنسان إذا عَلِمَ أن الله ﷻ ينظر إليه[2]، لأن الحياء من الإيمان

الحياء شعبة من الإيمان

للإيمان شُعَبٌ كثيرة، ذكر عددها رسول الله ﷺ، لكنه ﷺ خصَّ الحياء منها بالذِّكر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» [رواه مسلم، الحديث ٥]، وفي رواية أخرى قال ﷺ «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» [رواه البخاري، الحديث ٨]

الحياء خُلُقُ الإسلام.

قد يكون تخصيص الحياء بالذكر دون غيره من شعب الإيمان، لأنه أهم أخلاق الإسلام، فقد روي عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال «**لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ، وَخُلُقُ الإِسْلامِ الحَيَاءُ**» [رواه مالك بإسناد مرسل، الحديث ١٤٠٦]

والحياء خُلُقُ استرعى نظر الصحابة ﷺ من أخلاقه ﷺ، فقد كان

---

١ - محمد العراقي، خلق المسلم، ص ١٥٩ - دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣ (بتصرف)

٢ - عبد الخالق الشريف، نفحات إيمانية، ص ٤٣ - دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٩٩٥ (بتصرف)

حياؤه ﷺ شديدًا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ. كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا[1] [رواه البخاري، الحديث ٣٢٩٨]

الحياء ميزان الأعمال:

الحياء ميزان، وأصحاب الفِطَر السليمة يعرفون صحة الأفعال بعدة موازين، منها ميزان الحياء، فتراهم لا يُقْبِلُون إلا على الأعمال التي لا تنال من حيائهم ويَقْبَلونها، إنهم إن شاءوا أن يعملوا عملاً عرضوه على نفوسهم، فإن هم استحيوا منه لم يفعلوه، وإن لم يخجلوا مما يستدعي الحياء منه فعلوه، أما مَنْ فَقَدَ الحياء فهو يفعل ما يشاء ولا يبالي، فعن أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ» [رواه البخاري، الحديث ٣٢٢٤]

الحياء خير كله:

وإذا كان هناك خُلُق هو خير كله، أو كله خير، فإنه الحياء، فعن عِمْرَانُ بن حُصَيْنٍ قَالَ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». [رواه مسلم، في الحديث ٥٤]

والتحوف الملازم للحياء ليس حسًا، فالحيي قد يُفَضِّلُ أن يُراق دمه على أن يريق ماء وجهه، وهذه هي الشجاعة في قمة صورها، والخوف في هذه الحال ليس بنقيصة، لأنه خوف فقط على مكارم النفس ومحامدها أن تذهب نهائها ووقارها الأوصاف المجرحة، إنه تحوُّف يسامي الجراءة في مواطنها المحمودة أو يساويها[2]

---

١ - الخدر ستر يجعل للبكر في جانب من البيت

٢ - يراجع محمد العزالي، خلق المسلم، ص ١٦٢، دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣

الحياء زينة:

هناك أمور تضفي على الأشياء زينة إن هي اقترنت بها، ومن هذه الأمور الحياء، إنه يُزيِّن كل شيء كان فيه، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ". [رواه الترمذي، الحديث ١٨٩٧]

التفريط في الحياء من أسباب الهلاك:

كان خوف سلفنا الصالح من التفريط في الحياء عظيمًا، وشاع بينهم أن التفريط في الحياء سبب من أسباب الهلاك، إنه حلقة من سلسلة طويلة تجر حلقاتها بعضها بعضًا، في أولها نزعُ الحياء وفي آخرها التفريط في عهد الإسلام وتعاليمه، فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله ﷻ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلا مَقِيتًا مُمَقَّتًا[1]، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا مَقِيتًا مُمَقَّتًا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلا خَائِنًا مُخَوَّنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا خَائِنًا مُخَوَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلا رَجِيمًا مُلَعَّنًا[2] فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا رَجِيمًا مُلَعَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ[3] الإِسْلامِ". [رواه ابن ماجة بإسناد ضعيف، الحديث ٤٠٤٤] إنها سلسلة العيوب

حياء الرجل وحياء المرأة:

الحياء مطلوب للرجل ومطلوب للمرأة، فقد رُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

١ - المقت: اشد البغض

٢ - رجيمًا ملعنًا: مطرودًا

٣ - الربقة: الطوق، والمراد هنا العهد

مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ[1]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ". [رواه البخاري، الحديث ٢٣].

لكن فطرة المرأة تجعل حياءها أشد؛ لذلك قد يحدثه ما هو أدق وأخف مما يحدث حياء الرجل، وإذا كان حياء الرجل يظهر عمليًّا في تجنبه المواقف التي قد يخجل عليه العين، فإن حياء المرأة أيضًا له مظاهر عملية تضاف إلى ذلك إن المرأة الحيية لا تحدق النظر فيمن تحادثه، وإذا ضحكت في حضور الغرباء فإنها تحرص على ألا يتجاوز ضحكها مستوى الابتسام، فلا تقهقه بصوت عالٍ، كان ﷺ يفعل ذلك مع أنه رجل، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ: مَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلا تَبَسُّمًا [رواه الترمذي وصححه، الحديث ٣٥٧٥]

والمرأة إذا أرادت شراء ريتها الخاصة – من ملابس وغيرها – يمنعها حياؤها أن تشتري تلك الأشياء من رجل، وإنما تبحث عن امرأة مثلها تشتري منها

نحن قوم عمليون:

ما ذكرنا من مظاهر وأعمال مرتبطة بالحياء يجب أن تكون واجبات عملية شخصية محددة، فلتركز لمدة معينة على متابعتها ومراقبتها في أنفسنا؛ عسى أن نستوثق من تعلقل حلق الحياء في سلوكنا، فحاسب لأنفسنا كم مرة تسهّتُ فعصيت ربي؟ وكم مرة سَهَوْت فتماديت؟ ولتشاهد الله كل مسلمة أن لا يتجاوز ضحكها مستوى الابتسام دون صوت، خاصة في وجود الرجال الغرباء.

---

١ – ربما ظن الأنصاري الواعظ أن حياء الرجل قد أضرّ به

ولا تنسى المسلمة مراعاة شراء خصوصيات زينتها، التي لا يطلع عليها إلا زوجها، من البائعات دون البائعين

ولعل هذه الواحات العملية تكون تربية وتدريبًا للنفس طوال هذه الفترة، عسى أن نصل في وقت لاحق إلى أن يكون الحياء خُلُقًا دائمًا فينا، ولنحفظ من الأحاديث الشريفة التي أوردناها ما استطعنا، فهي دلك عون لنا في تأكيد هذه المعاني في نفوسنا، وسَنَدٌ لنا حين نريد تبليغ هذا الأمر للناس، وعلينا عندما ندعو غيرنا إلى هذا الخلق ألا نقتصر على أناس دون أناس، فلنؤدِّ عن أنفسنا زكاةَ العلم وزكاةَ الخُلُق، بأن نهدي هذا المعنى لكل المسلمين والمسلمات

*****

٣- المشارطة

كلنا يطلب الربح، مِنَّا مَنْ يطلب ربح الدنيا، فهو في تجارة، ومِنَّا مَنْ يطلب ربحي الدنيا والآخرة فهو في تجارتين، ويتحقق الربح في الدنيا والآخرة إذا ما أوتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ونجونا من عذاب النار

ويَعْظُم قدر التجارة تعاظم ربحها المنشود، وفي التجارة العظيمة قد يأنس التاجر إلى شريك يستعين به طلبًا للربح، فما بالنا بتجارة ربحُها الجنة والفِردَوْس الأعلى

تجارتك ربحُها الفِردَوْس

نعم، نحن نتاجر مع الله ﷻ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، ونحن نبغي الربح العظيم، نطلبه من الله ﷻ؛ لأنه عظيم لا يحجر عن شيء، ولأن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» [رواه البخاري، من الحديث ٦٨٧٣] ولكل تجارة رأس مال تكون منه البضاعة، فما رأس مالك وما بضاعتك؟

---

١ - الآية ١١١ من سورة التوبة

عمرك رأس مالك

ليس لك من رأس مالٍ سوى عمرك، فإذا فني منك أو ضاع أفلستَ وخسرتَ بضاعتك، وعندها تفشل تجارتك وينقطع أملك في الربح

والخسران في هذه التجارة خطر ماحق، لأنه لا سبيل للتعويض فيها أو التدارك، إنك تأخذ من رأس مالك كل يوم أربعًا وعشرين حرارة مصفوفة، إنها ساعات اليوم الأربع والعشرون، وإنك إن بددتها فقدتها إلى الأبد، لأنها لا تعود إلى يوم القيامة

لذلك فإن هذه التجارة العظيمة تحتاج نفسك فيها إلى شريك تستعين به طلبًا للربح، شريك يشترط عليك ما يصلح هذه التجارة، ويرشدك إلى طريق الفلاح، ولا يغفل عن المراقبة والمحاسبة، وعقلك هو شريك نفسك

عقلك شريك نفسك

عقلك شريك نفسك في حرائث يومك، وهو يشترط على شريكته – النفس – أن تعود من تجارتها كل يوم بملء هذه الحرائث نور الطاعة والعمل الصالح، والعقل شريك لا يرضى فقط أن تملأ النفس حرائث تجارتها بظلمة المعصية وريحها، بل يرفض أيضًا أن تتكاسل النفس شريكته عن العمل، فتترك بعض حرائث اليوم خاوية فارغة، فهو له مع النفس شريكته شرطان

شرط الاستقامة وشرط الاحتهاد

شريك نفسك يشترط عليها الاستقامة، واستقامتها تتحقق بأن ترضي الله ﷻ بكل عمل تعمله، ويكون ذلك بتحري موافقة هدا

العمل في كل حوانبه لتشرع ربنا في دين الإسلام، كما أنه يشترط عليها الاحتهاد، واحتهادها يكون بتوظيف كل حارحة وعدم الاكتفاء بواحدة

قاعدة نظرية

ومن الناحية النظرية فإن لك من الحواس سبعًا. عين وأذن ولسان، ثم بطن وفرج، وأخيرًا رحل ويد، فإن اشترطت على كل حارحة منها طاعة تلترمها كل يوم، فقد سددت على نفسك أبواب جهنم التي لها هي أيضًا سبعة أبواب

فائدة عملية:

ومن الناحية العملية، نعين أنفسنا على هذه المشارطة بأن نحدد على أنفسنا واحبات، نجعلها موضوع المشارطة كل صباح، وعلى سبيل التيسير، تتضمن فصول كتابك هذا - في رياض الجنة - اقتراحات لبعض الواحبات العملية التي تترجم كل معلومة نتعلمها، فلنعتبر هذه الواحبات العملية موضوعات منتقاة للمشارطة، وتطبيق ذلك أن يجعل كل منا بين عقله ونفسه موعدًا كل صباح، في هذا الموعد يشترط العقل على النفس أداء هذه الواحبات، وتتعهد النفس أمام ربها ﷻ بالاحتهاد في أدائها، وهذه هي المشارطة [1].

*****

١ - للاستزادة، يرجع إلى مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ص ٣٢٢، دار التراث العربي

٤ - الموت

كل ما له بداية له نهاية، إلا الله ﷻ، فهو الأول بلا بداية وهو الآخر الذي يبقى بعد فناء كل شيء، قال ﷻ ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[1]

الموت لا مفر منه:

الموت قَدَر كل مخلوق حي، لقول الله ﷻ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2]

والموت لا شيء يدفعه، ولا حصن يمنع منه، قال ﷻ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[3]

والفرار من الموت مستحيل، قال ﷻ. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلاً﴾[4]

الاستعداد للمصيبة

الموت مصيبة، هكذا سماه الله ﷻ في كتابه العزيز، قال ﷻ ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾[5]، والعاقل من لا يتعامل مع هذه المصيبة الأكيدة، فقد يكون الاستعداد للمصيبة سبب نجاة وفوز، فالميت مصاب بمصيبة الموت، كما أن أهله مصابون، الميت مصيبته أن انقطع عمله وضاعت فرصة استدراك ما فاته، وأهل الميت مصيبتهم في ألم الفراق، وفي انقطاع منافع كان الميت سببًا فيها، أو وسيلة من وسائل توصيلها إليهم

---

١ - من الآية ٣ من سورة الحديد

٢ - من الآية ١٨٥ من سورة آل عمران، ومن الآية ٥٧ من سورة العنكبوت، ومن الآية ٣٥ من سورة الأنبياء

٣- من الآية ٧٨ من سورة النساء

٤- الآية ١٦ من سورة الأحزاب

٥- من الآية ١٠٦ من سورة المائدة

ولكن إذا استعد الإنسان لموته، لم يعد موته مصيبته، بل قد يكون هو راحته وفوزه، وإذا استعد الإنسان لموت أحبابه هُدِيَ إلى الصبر والثبات، وفاز من المصيبة بالأجر

وذكر الموت من أفضل سبل الاستعداد لهذا الأمر

فوائد ذكر الموت.

الاهتمام بالعمل فائدة من فوائد ذكر الموت، ذلك أن الإنسان عندما يوقن باستحالة الخلود في الدنيا، فإنه يلتفت إلى العمل الذي يُصلح حياته في الآخرة فيفوز

ومن فوائده **القناعة والرضا**، فإن الدنيا تصغر وتهون في قلب مَن يذكر الموت، فتراه لا يأسى على ما فاته، ولا يضجر مما يكابده، ولا يغتر بما يكسبه، ومن جعل الموت نصب عينيه، لم يبالِ بضيق الدنيا ولا بسعتها

وكذلك من فوائده **ضبط التصرفات**، فاليقين بالموت يدفع الإنسان إلى مراجعة أخلاقه ومعاملاته وتصرفاته، ومَن داوم على ذكر الموت بادر إلى تصحيح أخطائه وضبط تصرفاته

فلنعش في القلق النافع:

يرى كثير من الناس في المداومة على ذكر الموت قلقًا، لكنه القلق النافع، إنه القلق الذي يُثمر الحرص، الذي يؤدي بدوره إلى الفوز، فلنعش في هذا القلق النافع، ولا نطمئن إلى متاع الدنيا الزائل، نعيشه بذكر الموت، بذكره في أنفسنا، ونُذَكِّر به غيرنا، ولذلك سنحرص في كل جزء من كتابك هذا على تذكرة تعتني بهذا الجانب

*****